على لوز

زفة و قناديل ، .شباب البنت سفرجل فترات متعاقبة من الزيجات الباهرة و رياحين و مزامير و طبل و رقص ،و كمائن للغدر تسيل عندها الدماء و تكرر ذلك .ترتطم النبابيت ، ثم ليلة زفاف مفعمة بالعربدة ، و التأوهات خمس مرات استنفدت شباب سفرجل كله ، انحدرت بها الى طلائع الشيب و ـكل على طريقته ـالكرب ، خمسة فتوات من عمالقة الحارة ، هيأوا لها يسقط الرجل .كل فى موعده .و انتهوا جميعا .حياة عز و جاه و سلطنة قتيلا ، أمام فتوة آخر أو حملة من الشرطة أو فى السجن ، و ينهب بيته و تجد سفرجل نفسها شبه عارية و على الحديدة ، تبحث عن مأوى حتى يهب .لنجدتها أحد أهل التقوى و الكرم

و عقب دفن الزوج الخمسة زارت جامع الامام و وقفت أمام ضريحه ، و أعاهد الله أمام ضريحك ألا أتزوج من فتوة " :باحت بمكنون قلبها المكلوم "أبدا بعد اليوم

"أعوذ با لله من الفتونه و العنطزة و الدم المسفوك " :و همست لنفسها و لم يكن الضيق بالحياة المضطربة وحده هو ما دفعها الى ذلك التعهد ، .. و لكنها كانت قد فقدت الشباب و النضارة ، و أخذ الشيب يطل من مفرقها و ذؤاباتها ، فلم يبق لها من جمالها القديم الا مسحة توارت فى استحياء تحت قناع الكدر و الهموم ، و لم يعد يعدها الغد الا بالمزيد من الشيخوخة و فعزمت عزمة صادقة على مواجهة الحياة باصرار و استسلام معا .الفقر "و كان من ضمن ما أتقنته صنع حلوى .رافضة أى احسان أو صدقة فعملت على اعداد صينية كبيرة منها كل يوم تسرح بها فى .. "على لوز الحى فى جولة ثم تجلس بقية يومها عند طرف سلم السبيل حيث يجلس عند الطرف الآخر شحاذ الحارة الضرير ، و اختارت حجرة فى بدروم قديم هكذا رضيت بحياة غاية فى البساطة و القناعة أملا فى .مسكنا لها .الاستقرار و الطمأنينة

و بخلاف الجميع ظلت أم شاور الخاطبة تؤمن بأن حظ سفرجل لم يقل كلمته الأخيرة بعد ، و تبادلت معها الحديث يوماً فشرقت و غربت ، ثم اذا بها تسألها:

- عندى فتوى من حارة أخرى معروف بيحب العتاقى!

فهتفت سفرجل بحدة:

1 أعوذ با لله!

و جعت لتقول لها .و غابت عنها مدة دون أن تقطع الأمل.

- لن أتركك ، لدى هذه المرة شىء مناسب.

و هى تلحظ أم شاو بحذر "على لوز"فراحت سفرجل تنادى على ، حتى أفصحت هذه عمال لديها فقالت:

1 شيال الحمول!

فقالت سفرجل بعتاب:

2 قلت لك أعوذ بلله من الفتوات و سيرتهم!

3 شيال الحمول أبعد ما يكون عن الفتونة.

و كانت شهرة شيال الحمول قد ذاعت لطاقته الخارقة على تحمل الضرب و ..فاستعمله بعض الفتوات درعا يحمى ظهره من الضربات الغادرة

قالت أم شاور مؤكدة ذلك:

- هو كما وصفوه جسم فيل و قلب عصفور ، ,لا قدرة له على القتال ، أ فهو عز الطلب

فقالت سفرجل بحزم:

4 من أجل علاقته بالفتوات و المعارك أقول حد الله بينى و بينه

و ذهبت أم شاور يائسة تاركة اياها فى دوامة من الانفعال ، و اذا بصوت يتسلل اليها قائلا:

- ابعدى عن الشر و غنى له ..أحسنت.

فنظرت نحو الشحاذ الضرير بدهشة و هتفت:

5 تسترق السمع!

و اقترب منها الرجل ، و مد لها يده بقطعة نقود قائلا:

- هاتى ما قسم من على لوز.

و .لم يكن ذلك بأول حوار يدور بينهما و لكنه كان أول حوار ذى معنى
و هو جل يلفت النظر بعماه و .كان الضرير معلما ثابتا من معالم حياتها
صبره و قوة جسده ، و بما ينشده من مقاطع لمدائح نبوية تقربا من
:المحسنين ، و رمقته و هو يمضغ الحلوى باسما فى ارتياح و تمتم
حلوة من يد جميلة 6
.فقالت سفرجل ساخرة
.شهادة زور 7
.بل اننى أرى بأذنى 8
.فسألته دون مناسبة ظاهرة
و لماذا تشحذ و انت رجل قوى ؟؟ 9
:فقال محتجا
ما أنا الا مطرب يسترزق بانشاد المدائح .أعوذ با لله .. !أشحذ 10
.النبوية و الإلهية
:و تنحنح ثم أنشد بصوته الجهير

شربنا الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب و ما رويت

.فضحكت من قلبها أول ضحكة صافية منذ عهد بعيد
و اهتمت بمراقبته فى الايام التالية فأدهشها ان تلاحظ أن دخله يفوق
دخلها أضعافا مضاعفة ، و لم تشك فى أنه يكنز النقود حول بطنه فيما
.و أصبحا يتبادلان التحيات و الكلام .ظنته كرشا كبيرة
..ليبث فى الاتصال مودة و حرارة "على لوز"و يتعلل بشراء
:حتى تشجعت يوما و قالت بإغراء
.هذا أفضل ..غير عملك 11
:و لكنه دافع عن عمله بحماس كالعادة فقالت
.فتح دكان للحلوى أفضل -
:فتفكر قليلا ثم تساءل بمكر

ألا يحتاج ذلك الى شريك ؟12
فقالت ضاحكة 13:
لدى شريك جاهز ، فاعزم و توكل على الله 14.